دما من محاصرة بورت ارثور هذه فان حصار (بليفنا) الشهير بانه أهرق فيه دم أكثر من غيره فصوره بالبويه المصور العظيم سيئ الحظ (فريشاچين) الذي ذهب الى قاع البحار خارج بورت ارثور مع الاميرال (مخاروف) يحفظ تذكاراً الى الذرية ولكن لو كان عاش هذا المصور الى ما بعد ان شاهد آخرة بورت ارثور لكان رسم مناظر دموية أعظم منها ولقد عبر المستر (جورج كنان) مكاتب جريده (أوت لوك) الشهير عن هذه المحاصرة بأنها قطعة من الجحيم الاسفل وجدت في مسكننا الارضي هذا ومع ذلك كل هذه المناظر العظيمة كانت لازمة لأهمية بورت ارثور نفسها الحربية أما كيفية محاصرة بورت ارثور ومهاجمتها فجوابه هو مركزها والغرض من هذه المجالة هو الحصول على تفسير قصير عن أهميتها ففي ليلة نزولنا البر في ليائونج سمعنا دوي صوت الموقعة الحاصلة حول (نانشان) المدخل الوحيد الى بورت ارثور ولنرجع الآن الى موقعة نانشان هذه

الفصل السابع

موقعة نانشان

كان رعد المقذوفات يزداد قوة كلما تقدم الوقت في اتجاه (نانشان) فكيف كانوا يحاربون هناك ياترى ؟ وكيف كان الثبات والشجاعة اللذان رآهما أخواننا هناك ؟ وهل تم الاستيلاء على الموقع أم هم لم يزالوا يحاربون حوله . فيلزمنا أن نسرع الى هناك لنشترك معهم في أول الوقائع وهي فرصة

عظيمة ـ ومتى نؤمر بالمسير ؟ وهكذا كنا غير صابرين وقلقين وأفكارنا تتسابق نحو نانشان

ولكن من جهة أخرى هل الاورطة التى تتبعنا ثم انزالها للبر بسلام أم لا اذ أن الميرالاى لم يكن فى قبضته الا خمسمائة رجل فقط وهى قوة ضعيفة بالمرة فهل يخاطر قائدنا بهذه الشرذمة من الرجال فوجهه المهموم كان يظهر عليه أنه لا يمكنه أن يأخذنا فى الحال الى المحاربة وقد كنا نشاهد الموقعة على بعد كما لو كان حريق فى الشاطىء الآخر من نهر وغير ممكن أن يقدم له أى مساعدة ولذا ابتدأنا نشعر بالخيبة ولكن فى الحقيقة أن المنتظر أن يكون الحرب طويلا وان الستار رفع الآن فقط و (نانشان) هذه لم تكن الا أول فصل وكنا فى غاية الضجر حرصا على ان نكون فى الموقع ومع ذلك لم نقابل العدو ونسمع صوت الموقعة ومع ذلك لم يمكن الاشتراك فيها الا أن الصبر مفتاح الفرج فلقد أتتنا الاوامر الآتية : « كن تحت أمر الجنرال أوكو قائد الجيش الثانى وأسرع الى (نانشان) » وهذا ما فاه به اميرالاى وهو ملآن سروراً وتشوقا وصوته يرن نشاطا وحماسا وكذلك جميع الجند والضباط رحبوا بالاوامر كأنها سماوية وكانوا زيادة عن استعدادهم للتقدم يمشون بسرعة فكنا نفتح خطواتنا على قدر الامكان فكنا نركض ونمر على قرية بعد قرية وحقل بعد حقل غير شاعرين بعدد الاميال التى نقطعها ولفكرة ان العدو مختبئ امامنا كنا لا نشعر بأى ألم أو تعب ولقد جعلت نقط العرق الممزوجة بالتراب على أوجهنا ستارا ولكن هذا ليس بشئ وفرغت زمازمنا من المياه وكانت افواهنا جافة من الريق وكنا كمختنقين ومع ذلك لم يتأخر أحد

من الصف اذ كنا جميعا ننظر نحو موقع المدور اكضين نحو اتجاه صوت المدافع التى انستنا كل تعب وصعوبة وألم

هل (تانشان) لم تزل تقاوم ؟

هم الآن فى معمعة القتال اسرعوا يارجال

وهذه كانت المحادثات الاعتياديه التى تسمع بين الحمالين الراجعين من (تانشان) والجنود المتوجهين اليها الآن ـ وكنا نسمع هذه الكلمات بوحشة اذ كنا نريد أن لا تسقط (تانشان) قبل وصولنا وكان يتخيل لنا انه بدون مساعدة رجال جدد مثلنا يفنى من رفاقنا رجال كثيرون قبل احتلال الموقع ولما رأينا فى طريقنا ضابطين أو ثلاثة اسرى متوجهين تحت حرس الى رياسة أركان حربنا كنا نصف مسرورين للحصول على أول منظر للعدو المهزوم ونصف خائفين ان تكون سقطت (تانشان) وأنى أريد أن أبين بالاختصار انه يوجد فرق عظيم ظاهر فى الجيش بين التى يمكن أن يسمح به للجنود والذى لا يمكن أن يسمح به فى أي حالة فالسير فى وقت السلم تكون الراحة فيه كثيرة والغذاء وافر ومسموح به على قدر الامكان ولكن عند مسيرنا للقتال الحقيق يقل الغذاء والماء وتقاوم كل عاصفة فالجندى يحمل جربندیته وثقلها نحو العشرة أوقات ومعه زمزمية واحدة مملوءة ماء للشرب التى عند ما يفرغ الماء منها لا يمكنه الحصول حتى على نقطة ماء ومن وقت الى آخر يستريح وينام فى معسكر ميدان ولو كان المطر غزيراً والعاصفة تزأر فغير مسموح له أن يستظل تحت سقف منزل فالتعب أو الالم لم يكونا من أسباب الاستثناء حتى ليس عنده وقت لمسح عرق وجهه الذى يبيض بعد قليل وقد يحارب

وهو جاهد ومختنق ويظهر للانسان أن خضوع الجنود لهذه المحن من القساوة ولكن ليعلم أن تضحية كل شيء لتأدية الواجب سهل . حتى من الواجب عدم تغيب جندى أو فقد بندقية في خط النار — وبعد مسير صعب مثل هذا يدخلون لهيب الحرب حالا وعلى ذلك انحات نظرية نجاح أو خذلان الجيش في عملنا أثناء السير ومن هنا يتبين جليا مقدار اهمية تدريب الجنود فى وقت السلم على السير بدون ماء اثناء الليل والمشى السريع وكان يظهر ان هذه التمرينات متعبة وبدون جدوى فى ذلك الوقت ولكن قيمتها تظهر جليا عند حصول حرب حقيقى

ولنرجع الآن الى سيرتنا الاولى فقد كنا نعدو بكل حماس غارقين في بحار الافكار نحو محاربة (نانشان) الاولى ولما قربنا من غرضنا نظرنا خياما منشورية الشكل منصوبة تحت الاشجار وعلى جوانب التلول وهى خيام مستشفيات ميداننا وان هذا العدد الكبير جعلنا مهتمين كثيرا بنتيجة المحاربة وكانت النقالات تأتى الواحدة بعد الأخرى وعليها جرحى جدد ثم تقفل راجعة مسرعة لخط النار باحثة عن آخرين اما الجرحى الذين يمكنهم المشى فكانوا يرافقون النقالات على أرجلهم وهم عدد كبير يجهدون طول الطريق وكان كل المحمولين على النقالات أو الماشين مغطين بالدماء والطين وذلك دليل واضح على أهمية تاريخ محاربتهم الباسلة وجهادهم الصعب وكانت اربطتهم البيضاء الملطخة بالدم الاحمر تغطى جروح الشرف وكنا نشعر ان النقط الدموية التى تتساقط من النقالات تكسب الارض مجداً وكان هذا المنظر لم يملأنا الا احتراما ووقاراً لا يمكن تعبيره وكان لا يسعنا الا أن نتنهد اجلالا وشكراً وفى

ذاك الحين رجع الياور الذى توجه الأمام لاستلام الاوامر وأخبر أن (نانشان) سقطت وان على الامدادجميعه أن يعسكر بالقرب من (شونجشيانن) وننتظر أوامر أخرى فيالها من خيبة و كنا نشعر من القائد الى السائس بانكسار قلوبنا ويأسنا وقد ضربنا اذرعتنا التعبة ورفسنا الارض بارجلنا وسقوط (نانشان) السريع (وهى النقطة التى يفرضها العدو مفتاح بورت ارثر) ذو فائدة عظمى لتصميم حربنا فى المستقبل وكان يلزمنا حينئذ أن نسر لهذا النبأ وقد سررنا بالفعل ولكن لا يمكن أن نلام على خيبتنا هذه عند ما نفكر أننا أسرعنا باستمرار من نقطة نزولنا البربدون وقوف حتى لنتنفس كل ذلك لنعلم عند وصولنا الى نقطة غرضنا أن نتيجة كل مجهوداتنا حازها آخرون وكان يوجد تل واحد فقط أمامنا وبعده توجد مجارى من دماء وتلال من جثث ولما وصلنا الى ذلك المكان وقف دوى المدافع المصم فى الحال والجبال والوديان رجعت الى سكونها القديم أما الشيء الوحيد الذى كنا نشاهده هو ارسال المجاريح المستمر للخلف وكنا نعزيهم ونشكرهم كلما قابلناهم وقد استرحنا فى أسفل التل وهناك كان يقص علينا سائس حضر الموقعة بكل اعجاب هازا رأسه ومادا ذراعيه معبراً كقصاص حقيقى وكانت قصته هذه تهمنا كثيرا ثم أوانا زمزميه كانت لجندى روسى وكان يتكلم كأنه هو الذى هزم العدو بنفسه ونحن الذين لم نعمر بنادقنا لهذا الحين ولم نخرج سيوفنا من غمدها كنا نشعر بالخجل حتى أن هذا الرجل الغير محارب كان يظهر فى أعيننا أنه بطل صنديد وقد امتدحناه وصرنا نسأله السؤال بعد الآخر متشوقين للوقوف على أخبار هذا الانتصار أما نحن جميع الامدادات التى كانت تحت

امرة الجنرال (اوكو) رئيس الجيش الثانى العام فأمرنا أن نمضى الليل فى (شنجشياتون) فاضطررنا حينئذ أن نرجع للخلف نحو أربعة أميال على نفس الطريق الذي جئنا منه فما أثقل روحنا فى السير للخلف فقد طأطأت جميع الرجال والخيول رؤوسها ما شين بكآبة وكان التراب الاصفر المرتفع من الارض يجعل منظرنا كالبودن المغطى بدقيق الفول الاصفر وكنا مدة سيرنا السريع ليلا ونهاراً الامام نفكر فى (نانشان) فقط ولذلك كنا لا نشعر باى ألم فى سيقاننا ولكن انعكست الحال عند الرجوع وحتى فى المناورات فى وقت السلم كانت أصوات المدافع والبنادق تنسينا الآلام التى بأقدامنا وتعب أجسامنا وتغير سيرنا من خطوة عادية الى جرى وتحملنا على مهاجمة العدو بغيرة حماسية ولكن عند ما نرجع للخلف تبتدئ أقدامنا أن تكون ثقيلة فى الحال فكل عثرة أو مماسة كانت تستشيطنا غيظا لاننا كنا بدون نشاط اوروح وهذا يمكن ان يحصل من الاخلاق اليابانية وهى الفكرة فى التقدم الامام فقط بدون أن نتقهقر بالمرة فالروسيون أساتذة فى التقهقر ولكن اليابانيون غير متمرنين عليه بالمرة ولذا اذا ابتدأ اليابانيون فى التقدم لا يهزمهم الروسيون أبدا واننا ورثنا عادة عدم تعلم التقهقر حتى امام الموت الحقيقى من آبائنا وتقوت هذه الوراثة بالنظام الحديث ونصرنا المستديم على هذا العدو العنيد لهو من خاصيات تلك العادة ولقد وصلنا أخيرا الى (شنجياتون) وهى قرية خربة يمربها جدول صغير وفى تلك الليلة كان القمر محجوبا والنجوم قليلة كأن الطبيعة كانت تشارك هؤلاء البؤساء الخائبين الضباط والجنود فى الشعور الذين انهكهم التعب النائمين على قش الذرة وهم حزانى على هؤلاء الذين ماتوا فى

موقعة ذاك اليوم ولقد كان يرى هنا وهناك رجال غير قادرين على النوم الا قليلا فى آخر الليل وهؤلاء كانت قلوبهم ملآى بانفعال نفسانى جديد فالجداة كانت تعدو فى كبد السماء صارخة صوتا أو اثنين قصيرين وكنت ترى بعض الرافدين يترنمون ببعض اناشيد بيوا (قانون الموسيقى اليابانى) فما كان أوحش تلك الليلة وتأثيرها على نفوسنا - وعلى ذلك لم يمكنى أن أشترك فى موقعة (نانشان) ولذا لم يكن من حق أن أذكر تاريخ هذه الموقعة العنيفة مع ان عنوان هذا الفصل يمكن أن يطالبنى بحديث تفصيل عنها ولكن الشئ الوحيد الممكن عمله هو أن اشرح لكم فى الفصل الثانى ماشهدته فى ميدان القتال بعد حصول الموقعة مباشرة وسأتبع ذلك فى الفصول التالية له بتاريخى الشخصى فى حصار بورت ارثور وقبل انتهاء هذا الفصل أريد ان أقدم الى قرائى جنديا باسلا وهو عند ماسشينا الى (واشنجشياتونج) أرسلنا مراسلة عجلة بايسكل اسمه (بوشى كوسونوكى) الى محل نزولنا لعمل مواصلات بيننا وبين من نزلوا بعدنا وهذا الرجل كان معروفا بانه صالح لتأدية هذه الخدمة خاصة بعناية وبسالة وكان دائما ينجح فى عمله فلما تركنا اليابان كان الوحيد الملحق من بلوكه كمراسلة برياسة آلاينا وكان عليه تأدية هذا الواجب الصعب طبعا بعد نزولنا وقد تكلف بأن قام متأخرا بعد ظهر يوم الى (بنتاؤو) على عجلته ولما كان السهل الذى مررنا به الى (وانجشياتونج) بدون طريق كان المنتظر أنه لا يرجع الى (بنتاؤو) الا بصعوبة كبرى فكان يمشى فى أرض غريبة غير عالم بأى شيء منها أو من لغة سا كنيها ودليله الوحيد النجمة القطبية أما واجبه هذا فكان عظيم الاهمية اذ لو وصل حتى الى غرضه

متأخرا ساعة واحدة لضاع وقت كبير فى تحرك الاقسام الاخرى وزيادة على ذلك فانه كان غير عالم ان (نانشان) ستسقط بدون مساعدتنا بل كان يعلم فقط ان آلاينا كان فى الامدادات وواجبه السرعة فى الوصول حتى يتيسر له أن ينضم الى خط القتال سريعا و (كوسوتيكى) هذا كان واسطة المواصلات الوحيدة التى بواسطتها يمكن الجمع بين القسمين المنفصلين من آلاينا وعند قيامه اخبر باعتناء عن المسئولية التى يتحملها ولكن سير نحو عشرين ميلا فى سهل (لياوتنج) ليس بسهل فعجلته بدلا من أن تكون عونا له صارت ثقلا عليه لأنه كان يحملها على ظهره ويجرى ولقد ضل ولم يجد المحل المقصود طول الليل وعند الفجر تمشم أن يعرف محل وجوده ولكن كان ذلك عبثا وكان يجاهد بدون أكل ولا شرب أن يعرف اتجاهه ممللا النفس بان يكون له حظ فى الوصول الى غرضه ولما كان فكره فى غاية الاضطراب صار يحبو على الاربعة مستريحا من وقت الى آخر اذ أن سيقانه صارت لا تتحمله وخصوصا وعجلته على ظهره ولكن لحسن حظه قابل عارضيا ديده بانا (خفيرا جنديا) فدله على الطريق وتحفه ببعض الطعام وبذلك صار ممكنه ان يتم خدمته ولو أنه أتى متأخراً

وليس المراسلة مسئولا فقط ولكن الياور مسئول أيضا أكثر من الجنود المعتادة إذ القائد يعتمد على رجل مثله فى تحرك العشرة آلاف من الرجال بسهولة كما لو كان يحرك أصابع يده فنجاح أو خيبة جيش باجمعه متوقف غالبا على خدمة المراسلة والياور وعلى ذلك يلزم أن يكون حائزا على الاربع الصفات المهمة وهى الشجاعة والعزيمة والتمييز والحكم السريع

و(بوشى كُوسُوتُوكِى) كان مراسلة صادقا مع شجاعة واخلاص يستحقان احترامنا العظيم

الفصل الثامن

نانشان بعد الواقعة

ان (نانشان) تحرس (كِينْشو) فى مدخل بحيث جزيرة لياوتنج ومع كون تلولها ليست حادة الميول ولا وعرة الا أنها ممتدة للخلف الى الامواج العميقة فالموقع مناسب للاغراض الدفاعية ولكنه أقل من هذه الوجهة من (تانكُوا تلنج) الكائنة بعيداً الى الخلف وفى الحرب الصينى اليابانى قاومنا الصينيون مدة فى (تانكوا تلنج) هذه أما السبب الحامل للروسيين على أن يفضلوا أن يستحكموا فى (نانشان) عن (تانكو انلنج) هو أن الاولى أقرب من (دالنى) ميناهم الوحيدة التى لا تتثلج وكانوا قد اختاروا موقعا على الشاطئ المقابل (لِلْيُوشُوتُونْ) طرف السكة الحديدية فى رأس خليج (تالن) وبنوا هناك مدينة (دالنى) الكبيرة متخذينها ميناهم الوحيدة التجارية فى (لياوتنج) ونقطة ابتداء سكة حديد الصين الشرقية ولحماية هذه المينا انتخبوا (نانشان) خلفها وبنوا بها استحكامات نصف دائية وقد انفقوا مدة عشر سنوات العشرات الملايين من الجنيهات لتشييد هذه المدينة وتحصين بورت ارثور ولتقوية نقطة (نانشان) هذه الامامية وقد قال لنا ضابط أركان حرب روسى اسير ان الروسيين كانوا يعتقدون أن نانشان تقاوم أعنف